

# وسائل التحصن من الاعلام الخارجي

الدكتور : احمد صدقي الدجاني

الرياض

1407 هـ - 1987 م

# وسائل التحصن من الاعلام الخارجي

الدكتور احمد صدقي الدجاني\*

كل قضية في عالمنا المعاصر لها بعدها العالمي ، نحن امام وضع مميز لم يعرف تاريخ الانسانية له مثيلا ، ولم يكن حال اية أمة من قبل كحال امتنا اليوم ، فهي على اتصال وثيق بالأمم الأخرى وطبيعي ان ينجم عن هذا اخذ وعطاء وتفاعل وقد وصف احد الكتاب المعاصرين هذا الوضع فقال : ان هذا الوضع لأمتنا العربية يتميز بالانطلاق النافذ ، والتغير المتسارع والتشابك والتعقد والاتساع والشمول<sup>(١)</sup>

ولا نغفل في عالمنا المعاصر الحضارة الحديثة وعن امكانات هذه الحضارة : فمجزاتها المادية هائلة ، وكذلك منجزاتها العلمية . ان حرية الانسان في مجتمع ما وبيس اقرانه قضية اخذت اهميتها ولكن هذه الحضارة الحديثة تعاني من مفارقات عجيبة .

هناك تفوق في التطوير العلمي والتقني لكنه ليس شاملا ، فهناك شعوب متقدمة . وهناك شعوب متأخرة ما زالت تعيش بعيدة عن هذا التقدم ، وما زلت اذكر العالم الذي كان يرأس مؤتمر العلوم السياسية الدولي وكان منعقدا في موسكو سنة ١٩٧٩م وهو يبحث عن التحدي الكبير الذي يواجه عالمنا ، لأن ثلاثة ارباع سكانه ما زالوا يعيشون في تخلف ، وقد تساءل اذا كنا بربع هذا العالم حققنا هذه الانجازات فكيف نسخر العقل الانساني كله

هناك مفارقة أخرى بين التطور التقني وتطور الأفكار والنظم فما زال هنالك تخلف في كثر من النظم عن مسايرة الركب . وهناك مفارقة كبيرة بين التطور التقني والتطور الخلقي ، إنها أزمة

---

\* رئيس المجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم بمنظمة التحرير الفلسطينية .

١ في معركة الحضارة : قسطنطين زريق .

حقيقة خلقية نلاحظها في المجتمعات الحديثة ويعبر عنها بأساليب مختلفة بأنها تحتاج الى معالجة

وهناك مفارقة كبيرة بين تطور الشعوب ورغباتها وبين قدراتها، نحن نعيش في عالمنا المعاصر هذا، فلنتمثل حقائقه، كي نحسن التعامل مع مشكلاته وتحدياته، لأن العالم له تقسيماته وله مشكلاته وله تحدياته

نتنقل الى وجه آخر بعد ان عرفنا أمتنا وعالمنا المعاصر، دعونا نركز النظر على اهم ما في دورتك على عملية التفاعل الحضاري، ولقد قرأت صباح اليوم النشرة الملحقه بهذه الدورة، وتساءلت انها تنبته الى هذا الموضوع ووضعت يدها عليه، فنحن حين نتحدث عن اعلام خارجي، وعن افكاره وعن وسائل التحصن، فانما نحكي في حقيقة الأمر عن عملية تفاعل حضاري، فلنحاول أن نتعمق في فهم هذه العملية

ابن خلدون تحدث عن علم العمران البشري ووضع فيه نظريته ثم تطور هذا العلم وتقدم كثيرا في القرن الأخير على عدة من علماء الاجتماع وعلماء فلسفة التاريخ، وصدر في ما صدر كتاب (شنيدار) وكتاب (تويني في التاريخ) الذي هو من اشمل الكتب عن قيام الحضارات. وصدر في مكتبتنا العربية عدة من الكتب التي تناولت هذا الموضوع ولكن اشملها هو كتاب قسطنطين زريق (في معركة الحضارة).

الحضارة نعرفها جميعا بأنها الجهد المبذول في امة لتحقيق حياة اكثر رقا وتقدما، والرقى والتقدم على الصعيدين المادي والمعنوي، وقد شهد التاريخ الانساني كثيرا من الحضارات ومن ثم شهد مجموعة ظواهر فالحضارات تتواصل وتتفاعل، ومن خصائصها انها حركية تتميز بالديناميكية مع انها تتغير وتتطور، فطبيعة الانسان انه يتعلم ويُعلم، وانه يُقلد ويُقلد، وأنه يأخذ ويعطي هذا التبادل في المجتمع الواحد ينشئ الحضارة، فكيف بالتبادل بين حضارة واخرى، فهو يحقق عملية التفاعل الحضاري

فما هي سبل التفاعل الحضاري وما هي وسائله؟

باختصار: هنالك الغزوات والفتوحات والحروب كانت تنقل دائما تجارب مجتمع الى مجتمع آخر، هناك انتقال الأشخاص. وهناك انتقال الأشياء المادية، فأى جهاز يأتي وأي إذاعة تأتي من مكان الى مكان، تحمل في طياتها بصمات صانعيها، وهنالك اخيرا ظاهرة فادحة، هي ظاهرة الاستعمار الحديث الذي هو تجربة في التفاعل الحضاري فريدة من نوعها. شعوب تسلط على شعوب تحاول ان تفرض نماذجها في الحياة، وأن تتدخل في مختلف جوانب الحياة، تنطلق من فكرة خاطئة غبية، هي الاعتقاد المزعوم بوحداية الحضارة فتحاول ان تفرض حضارتها، ولو كانت واعية لأدركت ان الشعوب التي غلبت لها حضارة، ولها أصالتها، ولها تجربتها.

فالاستعمار الحديث حاول ان يفرض هذا وقد عانينا منه ما عانينا الاستعمار الحديث اخذ اشكالا عدة من تسلط سياسي واقتصادي وتسلط فكري وتسلط التفاعل الحضاري يمكن ان يتم بشكل صحيح، وعندئذ هو مطلوب أما ان جاء على هذا الشكل الخاطيء فانه مرفوض، فلا بد ان نلاحظ أخيرا ان تفاعل الحضارات في عصرنا جاء قويا بفعل الأجهزة المختلفة من المذياع الى التلفزيون الى الفيديو، كلها تتحرك معا، وكلها تنقل اليك الأفكار، وصورا مختلفة من عوالم أخرى، وهذا يحقق التفاعل الحضاري.

اننا نلاحظ ثلاث ملاحظات هامة في التفاعل الحضاري:

١ - ان التفاعل يكون من الاقوى الى الأقل قوة، كالأواني المستطرقة، فان كان الماء هنا اكثر ينزل، وليس شرطا ان المغلوب هو الأضعف، المغلوب عسكريا احيانا يكون هو الأقوى حضارة وهذا حصل في التاريخ بمثلين صالحين، حين فتحت روما بلاد الاغريق، اخذت كل حضارة الاغريق، وحين جاء الفرنجة الى بلادنا، وغزونا في الحروب الصليبية اخذوا كل حضارتنا وتمثلوها، ورحم الله فارسنا اسامة المنقذ في كتابه (الاعتبار)، وهو يحكي عن هذا التفاعل الحضاري وعن هذا التواصل الحضاري، ورحم الله ابن القوطية في الأندلس، وهو يحكي عن

هذه الشعوب المتبربرة التي لا تعرف شيئا في ميدان الحضارة، والتي تأتي إلينا لتأخذ ليس شرطا إذن ان يكون الغالب هو الأقوى، وإنما نقصد بالأقوى الأقوى حضاريا بمؤسساته ومنجزاته وفكره.

٢ - الملاحظة الثانية ان التفاعل أخذ وعطاء، وان كانت نسبة العطاء من الأضعف أقل. ولكن له نسبة ويجب الانتباه لهذا في الاستعمار الحديث.

ففي تجربتنا الانسانية المؤلمة التي عاشها اخواننا السود في الولايات المتحدة الامريكية، الذين تركوا بعض بصماتهم على الحضارة الأمريكية الحديثة يجب ان نلاحظ ان بعض المؤرخين لفرنسا الحديثة يؤرخون المراحل المختلفة بحسب ما كان يجري في الجزائر، لأن ثورة الجزائر كانت تفرض نفسها على الحوادث وعلى الحياة داخل فرنسا.

التفاعل هو اخذ وعطاء وان كانت نسبة الأخذ والعطاء تختلف. الملاحظة الثالثة وهي هامة جدا، ان الانتقال من حضارة لأخرى يكون أسرع في انتقال الأشياء المادية من انتقال الأفكار

حين يكثر التفاعل الحضاري يحار المرء إزاءه وأنا اتناول هنا نقطة هي من اهم نقاط حديثنا اليوم.

هناك ثلاثة مواقف إزاء حضارة غازية، وإزاء التفاعل الحضاري: موقف يرفض كل شيء يسميه بعضهم بموقف الانعزاليين، ويستجير ليستطيع ان يفر من مواجهتها، وغالبا ما يستجير بالعودة الى الماضي. الموقف الثاني: يرى ان هذه الحضارة أقوى وأفعل فيحاول أن يبحث عن سر قوتها فيستعير منجزاتها المادية، فيأخذ موقف الأخذ من كل شيء- الأفكار والأنظمة والانجازات ولا يفرق ولا يبحث هنا يجب التنبيه الى ان الحضارة الغربية فيها تياران اساسيان، تيار غربي رأسمالي، وتيار داخلها شرقي ماركسي، ولكن الاثنين هما ابناء الحضارة نفسها، المصطلحات، والعلاقات الاجتماعية فنحن هنا نبحث عن ظواهر حضارية، وليس عن قضايا سياسية فالذين يحاولون ان يفرضوا ذلك بالقوة، عجيب ما يفعلون

انهم الانغماسيون، اذكر اني في سن العشرين شغلت بدراسة تجربة اتاتورك، كيف حاول ان يفعل شيئا، واين يتمثل الخطأ هنا واذكر اني وقفت امام حادثة ما زالت ماثلة امامي أوردها هنا.

قرر في يوم ما كمال اتاتورك بالقانون أن يلبس جميع الأتراك القبعة، ويقول أحد الصحفيين الذي شهد تطبيق القانون: كنت في قرية مسلمة بتركيا وفيها عائلة واحدة من عائلات يونانية وفيها محل لبيع القبعات وفتحوه عنوة، وأخذ كل واحد قبعة، يقول الصحفي: ودهشت، اضحك ام ابكي حين ارى أولئك الرجال جميعا يلبسون قبعات النساء.

الانغماسيون يقلدون تقليدا أعمى، ولا يحلون المشكلة ابدا ونهايتهم كارثة، وما حصل في بعض أقطارنا من جيشان خلال السنوات الماضية اغما اعلن فشل التغريب.

الاستجابة الصحيحة لمثل هذه التجربة هي في التيار الثالث. أما التيار الأول والثاني فيهما رد فعل.

التيار الثالث هو الذي يستجيب لتحدي الحضارة الغازية بالبحث عن سرها وعوامل قيام الحضارة، ويبدأ هو بأن يفعل م جديد، وهنا نقف امام ظاهرة هامة وهي ان الأمة ذات الحضارة تبدأ تتفاعل مع حضارتها الماضية التي نسميها تراثها وهذا حصل بوضوح في عصر النهضة كما احتكت اوروبا بحضارتنا العربية الاسلامية والحضارة الرومانية والحضارة الاغريقية

ولما احتكنا نحن بالحضارة الغربية عنا لنخرج تراثنا، والتراث لا يكون حيا الا في امة حية، وأن أهم الأمور أن نجتمع بين الأصالة والمعاصرة.

تلك هي الاستجابة الصحيحة التي تحث بنا السير في انبعاثنا الحضاري كي نسهم في بلوغ اهدافنا في الحضارة الانسانية وإثرائها، وهنا ينبغي ان أختصر فأتناول ثلاث نقاط:

الأولى: مادمتم تتعاملون مع اعلام خارجي، وما دمتم مسئولين تربية أو إعلاما أو أمناً على ضبطه فدعونا نشرح عملية الاتصال، ولقد خطرت

الفكرة على بالي وانا جالس في ندوة اليونسكو فاستخدمت هذا التعبير (تشرح عملية الاتصال).

فهي تتألف من امور اربعة :-

١ - انسان يتصل أو يُتصل به

٢ - مضمون هذا الاتصال فكرة كانت او خبرا أو أي شي -.

٣ - الأجهزة التي يتم بها الاتصال.

٤ - الجهات التي تشرف على هذا الاتصال. وهو الذي يعيننا هنا

ونضبط اموره.

أي انني أقول لهذه الجهات : انها تتعامل مع انسان ومع مضمون ومع أجهزة وعليها أن تحسن التعامل.

الفكرة التالية هي مضمون الاعلام الخارجي الذي نحن بصدده وقد مهد لها عرضي السابق.

نحن اليوم نعيش في ظل الحضارة الحديثة، ويجب ان نعترف بأن جل المنتجات المتعلقة بالاتصال تأتي من تلك الجهات، ويجب ان نعترف بأن هناك خللا فيما يسمونه (تدفق المعلومات)، ولقد خصصت (اليونسكو) لجنة على أعلى مستوى لكتابة تقريرها على هذا الموضوع ونشر التقرير في كتاب ضخم طبع في الجزائر، والتقرير جاء تحت عنوان (أصوات متعددة وعالم واحد).

والعنوان يوحي بأن عالمنا ما دام واحدا، فلا يجوز ان يكون فيه صوت واحد، بل يجب ان يكون فيه اصوات جميع الذين يقيمون فيه التقرير يبرز الخلل لتدفق المعلومات التي تأتي من ناحية لأخرى ولا ترشد، ودراسات تفصيلية، كم نسبة الأخطار التي تقرأ في بلاد الغرب عنا وعن العالم الثالث عموما كم نسبة ما نقرأ نحن عنهم، هذا الضجيج حول حضارتهم وثقافتهم وأفكارهم ومشكلاتهم التي نعيشها، والسبب هو ان التدفق جاء من ناحية واحدة.

فالاعلام الخارجي يوضح اننا امام جوانب ايجابية منه، ومن المفيد ان نتعرف عليها، وان تأتي الينا، وهناك اعمال تتم في تلك المجتمعات

الخارجية صارت ملكا للانسانية جمعاء فمثل هذا الاعلام لا تضيق به بل نعطيها مكانه وحجمه، ولكن الويل كل الويل ان نركز عليه فقط وننسى مثلنا وقضايانا وبالمناسبة يناقش علماء الاعلام حق الانسان في ان يعلم وحقه ايضا في ان يهرب من الاعلام، وذلك بعد ان اشتد ضغط الاعلام عليه يدخل الغرفة، فاذا بالتلفزيون واذا بالراديو واذا واذا الخ أين هو الاعلام الخارجي؟ من العرض السابق نصل إلى التحديد أن كل اعلام يخالف روح الأمة وقيمها وتقاليدها وافكارها ويحاول ان يفرض عليها نماذج غريبة لا تقبلها فهو يخل بجوانب حياتها فهذا الاعلام ضار ولا بد ان نواجهه فكيف نواجهه وماهي وسائل التحصن إزاءه؟ في كل مواجهة يجب ان نأخذ في الاعتبار عدة امور: كيف نتعامل مع الانسان ونحن نريد بناء شخصيته المؤمنة المعاصرة؟

وشخصية الانسان مم تتألف؟ البعض يقول: هي عقل وضمير وذوق وانا احب ان ابدأ هو بدن وعقل وضمير وذوق، اشارة الى أبعاد اربعة وهي:

البعد الجسدي .

البعد العقلي .

والبعد الروحي (الضمير) .

والبعد الجمالي (الذوق) .

والشخصية الناقصة هي التي تهمل اي بعد من هذه الأبعاد، فيجب ان يحدث التكامل فيها .

وحين بنى الاسلام شخصية المسلم اعطى هذه الأبعاد حقها وبالعودة الى السيرة النبوية اعظم قصة تتلى (ان لبدنك عليك حقا، وان لنفسك عليك حقا، وان لأهلك عليك حق التواصل، فاعط كل ذي حق حقه) هكذا قال محمد ﷺ لمن سألته عن عبادته فرأى انها قليلة، يصوم ويفطر، يصلي وينام ولا يعتزل النساء .



حبب الي من دنياكم ثلاث . الخ .

والأمثلة على ذلك كثيرة .

فالشخصية المسلمة هي الشخصية المتكاملة التي لا تعاني من الحرمان والتي شبت فتوازنت وتعادلت .

يجب ان نذكر ايضاً ونحن نبحت في التحصن ، أخطب اخواني رجال الأمن ورجال التربية ورجال الاعلام في نقطة هامشية في هذه المرحلة من تاريخنا .

ما هو الموقف الذي اقفه عند تناولي هذا الموضوع ؟  
أهو موقف الوعي بالمشكلة في حجمها الطبيعي الواثق بنفسه وبأتمته وبقدرتها على المواجهة ، وقدرتها على دفع الانبعاث الحضاري .

ان من اهم وسائل التحصن ان تقف هذا الموقف قبل ان تبحت عن وسائل التحصن ، فم تجاربنا الكثيرة في القرن الماضي ان استطعنا ان نقف في مواجهة هذه الحضارة الغازية ، وان نطرح بضاعتنا ، وأن نثق بأفكارنا ، فرجالنا كرجالاتهم ، وقدراتنا موجودة ، وان سبقونا بجوانب مضيئة كالنضال والدأب والعمل ، فنحن مصممون على ان يكون لنا النضال والدأب والعمل .

هذا الموقف اساسي ، وفرق بين موقف الهلع الذي يفعل ردود الفعل وبين موقف المستجيب الذي يفكر بتؤده ، ويبحث المعقول وغير المعقول .  
إذا حصل الموقف الأول ولم تدرس التفاصيل ، يأتي الشعار الذي استخدمناه (غزو فكري وخلقي) ، فينفعل بعض الناس في عدد من الشعوب النامية والتجارب التي ما زلنا نعيشها . ويكون الحكم عاماً وهو ان كل ما يأتي خطر وفيه غزو ، فلنمنع الكتب ان تدخل وليس هذا استجابة صحيحة ، (إذن فلنحرق الانتاج) .

لا ! ان العلاج بهذه الطريقة لانصل به الى شي .- . لنأخذ موقف الواثق ، واثق الخطوة يمشي ملكاً مطمئناً انه قادر على العلاج بعد هذا الموقف نقول : ان وسائل التحصن تأتي في نوعين ، بعضها سلبي ، وبعضها ايجابي . فأما السلبي وهو مشروع فانا أريد أن أجنب مجتمعي زكاًماً لا يمكن أن

يُنقل كما هو، والغرب نفسه الآن يرى أنه قد ذهب الى مدى (الحرية الفردية) التي يعاني منها، وهو يحاول ارجاع التوازن ، ومن اسرار قوته ان كل ما حصل فيه خلل يطرحه للنقاش فيعالجه، ولكن بعد أن يجرب ثم يسير.

لكن من حقنا نحن كحد من الرقابة محدود ان نمنع هذا الخلل الذي بلغ مداه، والذي كان فيه اجماع على عدم فائدته وجدواه. الرقابة هنا توضع ولكن في الأطر الصحيحة وبالبحجم المعقول، ومرة اخرى اصدقكم بأنها لا تكون وحدها كافية.

ان وسائل التحصن الفاعلة التي تساعد الرقابة هي وسائل ايجابية يجب ان تصل بالانسان العربي المسلم الذي بينا ان تكون لديه شخصيته القادرة على ان يرفض تلقائيا هذا الذي لا يناسبه يلفظه ازدراء لأنه لا يليق، يلفظه احيانا كراهية لأنه لا يناسب مزاجه، وليس ذلك تعصبا، فيصبح كحال المؤمن وهو يشعر بأن الكفر كره الى نفس. لماذا؟ لأن الفطرة السليمة لا تقبله. لي تجربتي الشخصية مع اولادي وتلاميذي: كان المؤثر دائما ان تعطي الحرية المقترنة بالمسؤولية، وان تتيح الفرصة لمناقشة ما يعرض. نحن في عصر لا يمكن ان نمنع العيون عن ان ترى، ولا الآذان عن ان تسمع، عصر تداخل، فنرى في الفيديو بالبيت اشربة العنف التخريبية التي لا تمثل روح مجتمعاتنا ويعجب المرء منها. ترى اشربة تقدر الفرد، وهو بمعزل عن المجتمع، ليست هذه روح حضارتنا، روح حضارتنا تتمثل في أننا نركب السفينة، البعض أصاب أعلاها، والبعض أصاب أسفلها، فاذا الذي بأسفلها اذ طلب الماء وثقب مكانه هلك الجميع يقول (ﷺ): اذا أخذوا على يده نجا ونجوا جميعاً، وان تركوه هلك وهلكوا مجتمعنا مختلف فيه هذه المعاني.

مجتمعنا لا ترد فيه فكرة (فراير العجيب) هذا المصطلح التلفزيوني الذي ساد في الستينات وكان الذي يفعل كل المعجزات. حد ادنى من بذل الطاقات مطلوب، ولكن في الوقت نفسه يجب ان يأخذ بعده الاجتماعي

لا بد من ان تكون وسائل التحصن مقترنة بعمل ايجابي، لا بد  
لاعلامنا ان يفعل فعله بحيث انك لو وضعت هذا الشريط المستورد،  
ووضعت شريطا يمثل تراثك، فانك ستشاهد ما يمثل تراثك بمتعة، واذا  
شدك الشريط الاول بشي- جديد يستحق الأهمية، وعندئذ لا اعتبره ضارا.  
هام جدا ان أصنع انا الاعلام. وهذا دور الاعلاميين  
والمفكرين، ودور الذين يعطون المادة. وصحيح ان ما نتج حتى الآن قليل،  
ولكنه بالقياس الى عشرين سنة خلت نجد الخط البياني في ارتفاع.  
قد تتساءلون اذن. لماذا هو قليل؟ لأن الحاجيات مبالغ فيها، ولأن  
ملكاتنا من الأفراد في هذا الطور الحضاري اقل من الميادين الواسعة التي  
خضناها مع الزمن سوف نتقدم في هذا.

ومن وسائل التحصن الهامة تشجيع حركات النقد فالنقد يعلم الناس  
الذوق الرفيع، ويعلمهم ان يميزوا الخبيث من الطيب، ويعودهم على ان  
ينسجموا مع الرفيع.

في هذا المجال نسير قدما ونقدم تجاربنا ولعلنا نصل الى ان نفرض  
اعلامنا على العالم الخارجي.  
ولقد حدث هذا احيانا قليلة.

فاني أذكر أنه ابان معركة بيروت الكبرى استطاع الحدث الساخن  
الحاد الذي عبر عن معان كثيرة ان يفرض نفسه على العالم اجمع يوميا،  
وكيف تأثر العالم برؤية صور بمعان جليلة تتصل بثورة التحرير وبقيم  
التحرير، وبقيم الانسان الذي يرتبط بشعبه ووطنه. وامته وربّه.  
اننا ننطلق من حضارة تقول:

ان الله سبحانه وتعالى خلق الناس في نظرة شاملة، وجعلهم شعوبا  
وقبائل ليتعارفوا، فحق علينا وواجب ان نتعارف وهذا يعني ان نتواصل وان  
نكون ايجابيين في تواصلنا، وان نكون فاعلين واثقين قادرين على تمييز  
الخبيث من الطيب، وعلى بناء جيل يربط بين الأصالة والمعاصرة ويتحمل  
مسئوليته كاملة